بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة 3-12-2010 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

((اللهم أنزل علينا الغيث2))

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خير نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره.

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد..

فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بالرجوع إلى الله فإن الله عز وجل قال: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: 50] نحن يا قومِ ليس لنا باب إلا باب الله نقرعه، وليس لنا وقوف إلا على بابه نتوسل إليه، وإننا غداً ذاهبون للقاء وجه ربنا، وإنه من اتقى الله في هذه الدار، نجا في تلك الدار، ومن كانت حاله غير حال التقوى في هذه الدار، فحاله غير حال النجاة في تلك الدار.

ثم أستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ، وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر: 21-23].

وقال جل من قائل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30].

وقال جل من قائل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: 30] الله يأتينا بماء معين.

عن أنس رضي الله عنه قال: (أصابت الناس سنة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فبينما النبي الله صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم جمعة، قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا.

فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وما نرى في السماء قزعة. يعني سحابة صغيرة، غيمة صغيرة، لا يوجد في السماء ولا غيمة. فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر عن لحيته صلى الله عليه وسلم، فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد، وبعد الغد، والذي يليه حتى الجمعة الأخرى.

وقام ذاك الأعرابي فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا.

فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال:((اللهم حوالينا ولا علينا)).

[البخاري ومسلم]

فتحول السحاب نحو المدينة وسال الوادي شهراً، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود.

عنوان خطبة اليوم:

(اللهم أنزل علينا الغيث)

وسنبقى أيها الإخوة واقفين على باب الله في الأسبوع الماضي تحدثنا عن خطبة: (اللهم أنزل علينا الغيث) واليوم نقول (اللهم أنزل علينا الغيث) وسنبقى واقفين على باب الله حتى ينظر إلينا برحمته، فنحن قوم لا نعرف رباً إلا الله، ولسنا قادرين أن ننادي أو نناجي أو نستمطر إلا حضرة الله تعالى.

يتحدث العالم اليوم. أيها الإخوة. عن اليوم العالمي للمياه، وهو الموافق لـ 22 آذار من كل عام، ويتحدثون عن بنك دولي للمياه يهتم ويرشد ويموّل مشروعات المياه.

ويتحدثون عن حروب المياه، فالخمسون عاماً الماضية شهدت سبعة وثلاثين صراعاً مسلحاً بسبب المياه.

سبعة وثلاثين حرباً لا لأجل أراضي، ولا لأجل مال، ولكن لأجل الماء.

ويتحدث العالم عن اتفاقية مياه عالمية، تستهدف ترشيد استهلاك المياه، وتقنين طرق بناء السدود على الأنهار، ويتحدثون عن لاجئ المياه، وهم أقوام نزحوا عن أماكن جفت مياههـا، إلى أماكن يتوفر فيها الماء، ويتحدثون عن أمراض تنتشر إذا امتنع ماء السماء، ويتحدثون عن جرائم تنتشر إذا حبس غيث السماء، ويتحدثون عن غلاء يصيب الأرض إذا شحت السماء عن ماءها، ويتحدثون عن حروب وكل هذا سببه قلة ماء السماء أو عدم ترشيد استهلاك ماء الأرض.

عنوان خطبة اليوم: (اللهم أنزل علينا الغيث).

تشير الدراسات أيها الإخوة إلى أن واحداً وثلاثين دولة في العالم غالبيتها في شمال إفريقيا والشرق الأوسط تعاني حالياً من قلة المياه، وسيصل العدد كما تشير التوقعات إلى ثمان وأربعين دولة مع حلول عام 2025 وإن ثلثي سكان العالم سيواجهون مشكلة ندرة المياه في عام 2025 ما لم ينظر الله تعالى إلينا.

اللهم أنزِل علينا الغيث.

بدأت نظر انخفاض الهاطل المطري واستمرارها في الهبوط بالقياس إلى ما كانت عليه تشتدّ في سوريا منذ العقد الأخير من القرن العشرين، وهو ما له صلة بتغير المناخ، وتغير أخلاق الناس.

اللهم أنزل علينا الغيث..

أخذت ينابيع بردى الحيوية تجفّ، وتتعرض المياه الجوفية في حوض دمشق، إلى استنزاف مجهد، وتشير دراسات مؤسسة المياه إلى أن حوض دمشق دخل لحظة الحرج، في التوازن بين العرض والطلب.

اللهم أنزل علينا الغيث.

ترد كلمة الماء في القرآن الكريم ثلاثاً وستين مرة.

ويوصف عرش الرحمن بأنه قائم على الماء.

كما يوصف النعيم بأنه جنات تجري من تحتها الأنهار.

بل إن الله عز وجل أحيا كل شيء بالماء ومن الماء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30].

وتنعدم الحياة في الكواكب التي لا ماء فيها.

اللهم أنزل علينا الغيث..

في كتاب فقه اللغة للثعالبي، يذكر المؤلف فصلاً في تفصيل أسماء المطر وأوصافه: فيه ستة وثلاثون اسماً للمطر، وكانت عادة العرب أنهم إذا اهتموا بشيء أكثروا أسماءه فإذا كان الأمر جللاً ومهماً رأيت له أسماء كثيرة في اللغة العربية، ذكروا للمطرة وأوصافه ستة وثلاثين اسماً.

فهو المطر، وهو الغيث، وهو الحياء، وهو الديمة، وهو الجود، وهو الودق، وهو الوابل، وهو العين، وهو الرجع، وهو الشآبيب.

اللهم اسقنا الغيث..

يا أيها الإخوة:

تعلمون أنه لا يسقي العطاش إلا الله، وأنه لا ينزل الغيث إلا الله، وأنه لا يغيث المستغيث إلا الله، الأمر أمره، والنهي نهيه، هو المالك الحق، ولا مالك سواه، يفعل ما يريد، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، يعطي ويمنع، يخفض ويرفع، لا يُسأل عما يفعل، وهم يسألون.

وأهم شيء نستمطر به ماء السماء: **التوبة ورد المظالم**

هذا الحبس للماء أيها الإخوة رسالة لكل أخ فينا، ولكل أخت فينا، إذا كان بعيداً عن الله أن يعود ويرجع، وإذا كان متعدياً على حق غيره أن يرجع الحق لأصحابه، إنه لمن سوء الأدب مع الله أن نبقى على المعصية، ثم نطلب إليه أن يسقينا.

كيف تشرب ماءه وتصر على معصيته؟!!

كلنا تزل أقدامنا، لكن الفاجعة في معصية يصرّ عليها رجلٌ، أو تصرّ عليها امرأة، أو يصرّ عليها مجتمع.

كلنا تزل أقدامنا، لكن المصيبة عند الإصرار.

وإنه لمن الجهالة أن يبقى بعضنا يظلم بعضاً ويأكل ماله وحقه دون رحمة، ثم نطلب من الله أن يرحمنا.

كيف يرحم الله أناساً لا يرحمون أنفسهم.

أول أمر نستمطر به مطر السماء: **التوبة ورد المظالم إلى أصحابها**.

✓ رجل متزوج بامرأة تنتمي لأسرة متوسطة الحال،لما مات والد زوجته بعد سنوات من الزواج، ترك الأب لورثته داراً كان يسكنها الأب مع الأم مع من تبقى من الأولاد.

اتفق الأبناء والبنات وسائر الورثة على إبقاء الدار كما هي، تسكنها أمهم، ويتجالسون في هذه الدار كل أسبوع مجتمعين، تماماً كما كان الأمر عند وجود أبيهم.

غير أن هذا الصهر هذا الرجل هذا الزوج، ظل يضيق على زوجته ويمنعها من الذهاب إلى بيت أهلها، ويؤذيها في إخوانها وأخواتها طالباً إليها أن تأتي بحصتها من الإرث من دار أبيها.

هذا الظلم، هذا التعدي، هذا الإصرار على المعصية، هذا الإصرار على مخالفة أمر الله، سبب لحبس ماء السماء.

وما لم يرجع هذا وأمثاله عن مثل هذه الأعمال وهذه المظالم فإن وضعنا في خطر.

✓ طلبت امرأة طلاقاً من زوجها، وألحّت عليه مراراً، ولا زال يتمنى عليها أن لا تفعل، ويرجوها أن لا تصر على الطلاق، وهي مصرة على طلب الطلاق، والأسباب غير مقنعة، لا لأهلها ولا لأهله.

أخبرها أنه يرجوها أن تبقى زوجة له، إن لم يكن لأجله أو لأجلها، فحفاظاً على ابنتهما ذات السنتين، لكنها بقيت مصرة على طلب الطلاق، وبدون عذر مرضي.

طلقها الرجل، واحتفظت بحضانة الصغيرة، واتفقا على أن تحضن الأم الطفلة، كما شاءت، وعلى أن يراها أبوها مرة في الأسبوع، إذا جاء بيتهم أو أرسل من يأخذها أو بأية طريقة تشاء الأم.

أظهرت أنها موافقة، لكنها بعد شهرين من الطلاق لم تعد ترسل البنت إلى أبيها، ولم تعد ترد على اتصالاته المتكررة، وتصر عليه أنك إن أردت رؤيتها فما عليك إلا باب المحكمة، أو مركز الإراءة.

من مثل هذه الذنوب، ومن مثل هذا الإصرار على أذية الآخرين، يُحبس ماء السماء.

أين والد هذه البنت؟!

أين أم هذه البنت؟!

إن كانت تخطئ، ألا يوجد من يردعها من حولها، أين صديقاتها، أين أخواتها؟

✓ كان رجلاً ثرياً يملك من العقارات والأراضي والمزارع ما لا يحصيه عداً، ومع كل هذا فهو رجل لا يدفع الزكاة، ويصر على أنه لن يدفعها، لكنه قرر أنه إذا مات سيكتب في وصيته أن يتصدقوا بشيء من ماله على بعض الجمعيات الأخيرة. إصرار على مخالفة أمر الله.

الله يأمر ﴿آتُوا الزَّكَاةَ﴾ هو يقول لن أدفع، عندما أموت خذوا المال، وهو مسلم، وهو يحضر خطب الجمعة، ويعلم الحلال من الحرام في الزكاة، ثم هو يصر على أن لا يؤدي حق الفقراء في ماله.

من مثل هذه الذنوب أيها الإخوة يحبس ماء السماء.

دعا سيدنا ابن عباس في الاستسقاء فقال: **(اللهم لا ينزل بلاء إلا بذنب، ولا يرفع إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث)**.

يا أيها الإخوة:

أول وأهم سبب نستمطر به ماء السماء: التوبة ورد المظالم إلى أصحابها.

فليراجع كل أخ فينا نفسه، لعله أخطأ مع الله، أو لعله أخطأ مع عباد الله، وفرصة الآن أن تعود إلى الله لعلنا نُسقى بسببك وبسبب رجوعك إليه.

فيا أيها الإخوة توبوا إلى الله يتب عليكم، واستغفروه يغفر لكم، إذا عصيته في السر فتب إليه في السر، وإذا خالفته في العلن، فتب في العلن.

إن كان الأمر بينك وبينه، فأقبل عليه بقلبك الآن، وإن كان في الأمر مظلمة لعبد فردها اليوم قبل أن يأتي يوم لا درهم فيه ولا متاع.

قل للذي ألف الذنوب وأجرما ... وغدا على زلاته متندما

لا تيأسن من الجليل فعنده ... فضل يثيب التائبين تكرما

يا أيها العاصون جود واسع ... لوذوا فدونكم المنى والمغنم

لا تيأسوا من قبح ذنب سالف ... فهو المحب لأن يجود ويرحما

يا أيها العبد المسيء إلى متى ... تمضي زمانك في عسى ولربما

بادر إلى مولاك يا من عمره ... قد ضاع في عصيانه وتصرما

يا أيها الإخوة:

بقي سؤال واحد أختم به هذه الخطبة.

لعل سائلاً يسأل: نرى بلداناً لا تؤمن بالله رباً، ولا بالإسلام ديناً، ولا تؤمن بدين سماوي، ولا تتقي الله، ولا تتوب إليه، ولا ترجع إليه، ولا ترفع يداً إلى السماء، ونرى أشخاصاً هذه حالهم، ثم نرى الأمطار عندهم وافرة، ونرى أراضيهم عامرة، ونرى أنهارهم غناء، فما الأمر؟!

القوم لا يتوبون ولا يردون مظالم، والمياه كثيرة عندهم، ما الأمر؟

الجواب في سورة الأنعام في الآية رقم (42)، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: 42] يعني الله عز وجل عندما يرسل البأساء لأجل أن يتضرع الناس، لأجل أن يعود الناس إليه ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ، فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 43-45].

قال النبي صلى الله عليه وسلم:<إذا رأيتم الله يعطي العباد ما يشاؤون على معاصيهم فإنما ذلك استدراج منه لهم، ثم تلا هذه الآية >

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.